النظام القديم؛ كما ان العلاقات ما بين المتغيّرات فيها تتميّز بالتعقّد والتركيب الشديدين. ولذا، فانه من الطبيعي ان تتعدد الرؤى الى هذا النظام ومكوّناته وحركته؛ وبالتالي، كيفية التعامل معه. هناك ثلاث رؤى متصورة للنظام الدولي، وهي على الوجه التالي:

الرؤية الأولى: التحوّل الى عالم القطب الواحد

١ ـ ان النظام الدولي يشهد متغيّرات كبرى تبشّر بتحوّل جوهري الى نظام يختلف نوعياً عن النظام الدولي الذي ساد منذ الحرب العالمية الثانية، والذي استند الى ظاهرة ما يسمّى بالقطبية الثنائية التي كانت تعني انقسام العالم الى معسكرين متنافسين، اشتراكي ورأسمالي، يقود الاول الاتحاد السوفياتي، والثاني الولايات المتحدة الاميركية.

٢ ـ ان النظام ما بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن ساكناً، وانما كان شهد متغيّرات في علاقات القوى النسبية بين المعسكرين. هذه المتغيرات مرّت بمرحلتين:

الاولى استمرت، تقريباً، على مدى ثلاثة عقود، منذ منتصف الاربعينات وحتى منتصف السبعينات، وتميزت بضيق الفجوة الهائلة بين المعسكرين، وهي السمة الرئيسة لعلاقة القوى بينهما غداة الحرب الثانية مباشرة. هذا الضيق نجم عن نجاح الاتحاد السوفياتي في تحقيق تكافؤ عسكري مع الولايات المتحدة، واللحاق بها في مجال الثورة الصناعية الثانية، وحقق معدلات للنمو الاقتصادي أعلى منها، واستفاد من حركة التحرر الوطني في العالم الثالث، والتي كانت، في اطار الاستراتيجية العالمية، خصماً ضد المعسكر الرأسمالي. وجاء ضيق الفجوة، أيضاً، نتيجة ظهور أقطاب اقتصادية جديدة داخل المعسكر الغربي (أوروبا الغربية واليابان)، وانهيار الهيمنة الاقتصادية الاميركية على الاقتصاد العالمي الذي شكلته اتفاقيات بيتون وودز. وكان للهزيمة الاميركية في فيتنام أثرها في اضعاف الولايات المتحدة، معنوياً واخلاقياً، خلال هذه المرحلة، على حين ان الايديولوجية الاشتراكية نجحت في ان تشكّل بديلاً مرموقاً ومطروحاً على النظام العالمي.

في المرحلة الثانية، والتي امتدت تدريجياً منذ منتصف السبعينات وحتى الآن، بدأت أسس جديدة لنظام دولي جديد في الظهور، يقوم على ازدياد الفجوة من جديد بين المعسكرين مع حدوث تحوّلات جذرية في الوضع الداخلي والمكانة العالمية للاتحاد السوفياتي، ودول المعسكر الاشتراكي عامّة. فقد ظهر نوع من الضعف البنائي في النظام الاشتراكي عبّر عن نفسه في شكل ركود سياسي وتراجع شديد الى حدّ التوقف في معدلات النمو الاقتصادي. وفي حالات دول العالم الثالث الماركسية، فان هذا التوقف تمثّل في ظهور المجاعات والحروب الاهلية (كمبوتشيا وأثيوبيا)، وظهور الميول الامبريالية (فيتنام في كمبوتشيا والاتحاد السوفياتي في افغانستان)، وظواهر الهجرة الجماعية نتيجة تفاقم الاوضاع السياسية والاقتصادية. ومن كل ذلك، فان النظام الاشتراكي ـ كنموذج ومثال بديل من النظام الرأسمالي الليبرالي ـ أصبح موضع شكوك قوية من الرأي العام العالمي، في الشرق والغرب والعالم الثالث. في الوقت عينه، بدأ المعسكر الغربي يسترد عافيته نتيجة الثورة الصناعية الثالثة التي ظهرت، بشكل أساسي، في الولايات المتحدة واليابان، ثمّ تبعتهما أوروبا الغربية، وامتدادها من المجالات العسكرية الى القطاعات المدنية في الاقتصاد؛ وهو الامر الذي فشل الاتحاد السوفياتي في تحقيقه. وبالاضافة الى ذلك، فان المعسكر الغربي اثبت قدرة هائلة على التكيّف مع الظروف العالمية، حيث نجح في تكثيف الاعتماد المتبادل ما بين الدول الصناعية المتقدمة، من خلال شبكة هائلة من المنظمات والمؤسسات الدولية (منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، الجات، صندوق النقد